﴿*وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٧﴾ [الأعراف: 47]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لمّا ذَكَرت الآيةُ السّابقة ما يدلُّ على أنَّهم مُقْبِلونَ على الجنَّةِ وأصحابِها؛ جاءت هذه الآيةُ لتؤكِّد هذا المعنى بطلَبِهم وتضرُّعهم إلى الله تعالى بألّا يجعلَهُم في القوم الظّالمين، قال تعالى: ﴿*وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

تَكْمِلةُ مَشاهِدِ أَصْحابِ الأعْرافِ، المستَعِيذِين مِنَ النّار، والخائفين مِنْ سَخَطِ الجبّارِ

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿صُرِفَتۡ﴾: الصّادُ والرّاءُ والفاءُ تدورُ تصاريفُها على معنى الرُّجوع، أو هُوَ ردُّ الشَّيءِ من حالٍ إلى حالٍ أو إبدالُهُ بغيرِه، وَمِنْهُ: انْصَرَفَ القومُ، أي: رجعُوا، ويَرِدُ الصَّرْفُ بمعنَى التَّوبَة؛ لأنَّه يُرْجَعُ بِهِ عنَ رُتبةِ المُذْنبينَ إلى حالِ الطّائعينَ[2]، ومِنْ هذا البابِ قولُ الله تعالى: ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ [البقرة: 164]، أي: تَحْويلُها من وَجْهٍ إلَى وَجْهٍ وَمن حالٍ إلى حالٍ[3].

ومعْنَى قولِ الله تعالى: ﴿*وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾: حوِّلَتْ جِهَةَ أصحابِ النّارِ.

2) ﴿تِلۡقَآءَ﴾: أصلُهُ من لَقيَ، واللِّقاء: مقابلةُ الشَّيء ومصادفتُهُ معًا، وقد يُعَبَّر به عن كلِّ واحدٍ منهما، يقال: لَقِيَهُ، يَلقاه، لقاءً ولُقِيا، ولُقْية، ويقال ذلك في الإدراك بالحسِّ وبالبصر وبالبصيرة، ويقال:

(1) البقاعيّ، نظم الدرر: 7/406.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة:، والرّاغب، المفردات: (صرف).
(3) الزَّبيدي، تاج العروس: (صرف).

لَقيتُه بكذا؛ إذا استقبلته به، قال تعالى: ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾، وتَلَقّاه كذا: أي: (لَقِيَهُ)[1].

ومعنى قوله: ﴿تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ جهةَ أهلِ النار.

❁ المعنى الإجْماليُّ:

اسْتِعْظامُ أصْحابِ الأعْرافِ العَذابَ المهينَ، والتِماسُ أن لا يُحشَرُوا مع الظّالمين

وَإذا صُرِفَتْ أبْصارُ أصحابِ الأعْرافِ حيالَ أصْحابِ النّارِ وجِهَتِهم، فنَظَروا إلى سواد وجوههم؛ فقالوا: ربَّنا لا تُصَيِّرْنا مَعَ القَوْمِ الذينَ ظَلَموا أنْفُسَهُم، فأكْسَبوها مِنْ سَخَطِكَ ما أوْرَثَهم مِن عذابِكَ ما هم فيهِ[2].

وترشد الآية الكريمةُ إلى أنَّ أصحابَ الأعرافِ لشدَّةِ طَمعهم في دخول الجنةِ يوجِّهون أبصارَهم إلى أصحابِ الجنَّة؛ بالقصد والرغبةِ ويُلْقون إليهم السَّلام، ويكرهون رؤيةَ أهلِ النّار.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

عِلَّةُ وَصْلِ قَوْله تَعالَى: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ﴾ بِما قَبْلَهُ:

اسْتِكْمالُ الحَدِيثِ عَنْ أَصْحابِ الأَعْرافِ

وُصِلَ قولُ اللّه سُبحانَهُ: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ﴾ بالجملَةِ قَبْلَهُ؛ لِما بيْنَهُما مِن التَّوسُّطِ بين الكَمالَيْنِ؛ وذلك أنَّ الجملَتيْنِ خبريَّتانِ، وبينَهُما تناسُبٌ؛ إذ هذه الآيَةُ واردَةٌ لِاسْتِكْمالِ حديثِ أصحابِ الأعْرافِ[3].

نُكْتَةُ التَّعْلِيقِ بِأَداةِ الشَّرْطِ (إذا):

أَخْبارُ اللهِ تَعالَى مُحَقَّقَةُ الوُقُوعِ، فالإيمانُ بها واجِبٌ

جاءَ التَّعبيرُ في قولِ اللّه سُبحانهُ: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ﴾ معلَّقًا بأداةِ الشَّرْطِ (إذا) دونَ (إنْ)؛ لِما في (إذا) مِنَ الدَّلالَةِ على الجَزْمِ بوقوعِ مَدْخولِها، بخلافِ (إنْ) فإنَّها تدلُّ - في الأصْلِ - على عدَمِ

(1) الراغب، المفردات: (لقي).
(2) ابن جرير، جامع البيان: 12/466، ونخبة من العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 156.
(3) درويش، إعرابُ القرآنِ وبيانُه: 3/359.

الجَزْمِ بوقوعِه، فالتَّعليقُ بـ (إذا) يُفيدُ تحقُّقَ وقوعِ هذا الصَّرْفِ والقولِ المَذْكورِ بَعْدَهُ.

سِرُّ بِناءِ الفِعْلِ لِلْمَفْعُولِ فِي: ﴿صُرِفَتْ﴾:

انْـصِـرافُ نَـظَـرِ أَصْحابِ الأَعْرافِ إلى أَصْـحـابِ الـنّـارِ، قَـهْـرِيٌّ ولكنّه فظيعٌ

بُنِيَ الفِعْلُ ﴿صُرِفَتْ﴾ لِلْمَفْعولِ في قولِ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿*وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ﴾؛ لعدَمِ الحاجةِ إلى ذِكْرِ مَنْ صرفَهم؛ لأنَّ المقصودَ التَّخويفُ، والمُخيفُ لَهُمْ هو نفسُ الصَّرْفِ، لا كَوْنُهُ مِنْ مُعَيَّنٍ، والمعنى: صَرَفَ أبصارَهُم صارِفٌ مِنْ قِبَلِ اللهِ تعالى بِغَيْرِ اخْتيارٍ منهمْ[1]، فهم لَم يَصْرِفوا أَبْصارَهم؛ لِأَنَّهم يَكْرَهون أن يَنْظُروا إِلَيْهم؛ لِكَونِهم مَلْعونينَ[2].

ويَجوزُ أن يكونَ إسنادُ الفعلِ إلى غيرِ معلومٍ جاريًا على المُتَعارفِ في نظائرِهِ مِنَ الأفْعالِ التي لا يُتطلَّبُ لَها فاعِلٌ مُعَيَّنٌ.

سِرُّ التَّعبيرِ بالصَّرفِ دونَ التَّحْويلِ:

الـصّـرْفُ تَغيُّرٌ مِـن حـالٍ إلى حالٍ، والتَّحويلُ انفِصالٌ

في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ﴾ عَبَّر بالصَّرف دون التَّحويل لوجود فرقٍ بينهما، فالصَّرْف: ردُّ الشَّيء من حالةٍ إلى حالةٍ أو إبدالُهُ بغيره، يقالُ: صرفتهُ، فانصرف، قال تعالى: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾ [آل عمران: 152]، والتَّصريفُ يقالُ في صرفِ الشَّيء من حالةٍ إلى حالةٍ، ومن أمرٍ إلى أمرٍ، ومنه تصريفُ الرياح[3].

أمّا التَّحويل؛ فأصلهُ من حَوَلَ، ويُطلق على تغيُّر الشَّيء وانفصالِه عن غيره، وباعتبار التغيُّر قيلَ: حالَ الشَّيءُ، يحول، حُؤولًا، واستحالَ: تهيَّأ لأن يُحَوَّل، وباعتبار الانفصالِ قيل: حالَ بيني وبينك كذا، وحوَّلت الشيءَ، فتحوَّل: غيَّرته إمّا بالذّات، وإمّا بالحُكْمِ والقول[4].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/406، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 6/2850.
(2) الشّعراوي، تفسير الشّعراوي: 7/4151.
(3) الرّاغب، المفردات: (صرف).
(4) الراغب، المفردات: (حول).

وبناءً على ما سبقَ في بيان المعنى اللُّغوي لكلٍّ منهما، يتبيَّن أن التَّعبيرَ بالصَّرْف في قوله تعالى: ﴿*وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ﴾ هو المناسبُ لهذا المشهدِ؛ لأنَّها حوَّلت من النَّظر إلى أهل الجنَّة إلى النَّظر إلى أهل النّار؛ فالملاحَظ أنَّهم تحوَّلوا من حالةٍ إلى حالةٍ، ومن أمرٍ إلى أمرٍ، وهذا لا يتأتَّى من مادة التَّحويل الَّتي يدور معناها حول تغيُّرِ الشيء وانفصاله.

دَلالةُ اختلافِ التَّعْبيرِ مرّةً بالنّداءِ، ومرّةً بالصَّرفِ:

رَغْبَة أَصْحاب الأَعْراف في الجَنَّة، ناتِجةٌ عن شِدَّة تَطَلُّعِهِمْ إلَى دُخُولِها

في التَّعبيرِ عَنْ حالِ أصحابِ الأعْرافِ مَعَ أهل الجنَّةِ بالنِّداءِ مبنيًّا لِلْفاعِلِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾، والتَّعبيرِ عَن حالِهِم معَ أهْلِ النّارِ بالصَّرفِ مبنيًّا لِلْمَفْعولِ في قَوْلِه سُبحانَهُ: ﴿*وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ دليلٌ على أنَّ أكْثَر أحوالِ أصحابِ الأعرافِ النَّظَرُ تلقاءَ أصحابِ الجنَّةِ، وأنَّ نَظَرَهُم إلى أصحابِ النّارِ عارِضٌ، وليس واقعًا باختيارٍ منهمْ، وإنَّما هو بكونِهم قد صُرِفَت أبصارُهم تِلْقاءَهم، فليس هذا الصَّرْفُ مِنْ قِبَلِهم بل هُم محمولونَ عَلَيْهِ، مفعولٌ بهِمْ ذلك؛ وذلك أنَّ المَطْلَعَ مخوفٌ مِنْ سماعِهِ، فضلًا عن النَّظرِ إليهِ، بَلْهَ التَّلَبُّسَ به ومُعاناة ذلك العذابِ[1].

وفي هذا التَّغايُرِ إشعارٌ بقوَّةِ رغبتِهم في الجنَّة وشدَّة تطلُّعِهم إلى دخولِها، وعَدَمِ إرادَتِهم النَّظَرَ إلى أصحابِ النّار باختيارِهِم فضلًا عمّا هو فوقَ ذلكَ مِن ضُروبِ المخالَطَةِ.

دَلالَةُ التَّعْبيرِ بِالفِعْلِ الماضِي ﴿صُرِفَتْ﴾:

ما أَخْبَرَ اللهُ تَعالَى بِهِ، كائِنٌ مُستقبَلًا، وكأنّه حَدَثَ في الماضِي

الصَّرْفُ المَذْكورُ في قَوْلِ اللهِ سُبْحانَهُ: ﴿*وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ مُسْتَقْبَلٌ؛ لكونِهِ مِن أحوالِ الآخرَةِ، إلّا أنَّ التَّعبيرَ عنه جاءَ بِالفِعْلِ الماضي - على خلافِ مقتضَى الظّاهرِ -

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/59.

للدَّلالَةِ على تحقُّقِ وقوعِهِ، وأنَّ هذا الصَّرْفَ والقَوْلَ المُرتَّبَ عليهِ ممّا لا بُدَّ أن يكونَ في ذلك الموقف.

بَلاغَةُ الِاسْتِعارَةِ في صَرْفِ الأبصَارِ إلى النّارِ:

صَـــرْفُ أبـصـارِ أصْـــحـــابِ الأعـرافِ، غايتُه الاعـتـبـارُ بحالِ أهْلِ النَّارِ

الصَّرْفُ في قولِ اللّه سُبحانَهُ: ﴿*وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ استِعارَةٌ في لَفْتِ النَّظَرِ[1]؛ إذِ الأصلُ في الصَّرفِ أن يَرِدَ بمعنَى أمْرِ الحالِّ بمكانٍ ما بمُغادَرَتِهِ، واستُعْمِلَ ها هُنا في لَفْتِ النَّظَرِ على سبيلِ الاسْتِعارَةِ التَّصريحيَّةِ التَّبعيَّةِ، فشُبِّهَ لَفْتُ النَّظر بالصَّرْفِ بجامعِ مُطْلَقِ التَّغْيير، والنُّكْتَةُ في الاسْتِعارَةِ: الإيماءُ إلى أنَّهُم لا يَنْظُرونَ إلى أصْحابِ النّارِ "إلّا نَظَرًا شَبيهًا بِفِعْلِ مَن يَحْمِلُهُ على الفِعْلِ حامِلٌ، وذلك أنَّ النَّفْسَ، وإن كانَتْ تَكْرَهُ المَناظِرَ السَّيِّئَةَ؛ إلّا أنَّها حُملت على أن توَجِّهَ النَّظر إلَيْها آونَةً لِتَحْصيلِ ما هو مَجْهولٌ لَدَيْها"[2].

بَراعَةُ المَجازِ المُرْسَلِ المُرَكَّبِ، في صَرْفِ الأبصَارِ:

كَـراهَـةُ أَصْحابِ الأَعْـرافِ النَّظَرَ إلَى أَهْـلِ النّارِ، دليلٌ فزَعِهم من حالِهم

في التَّعبير بصَرْفِ النَّظَرِ مبنيًّا لِلْمَفْعولِ في قولِ اللّه سُبحانَهُ: ﴿*وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ مِنَ الدِّلالَةِ على كراهَةِ أصحابِ الأعرافِ النَّظَرَ إلى أهلِ النّارِ، وهذا لونٌ مِنْ ألوانِ التَّوبيخِ لهم[3]؛ حَيْثُ ارتَكبوا مِنَ الجرائمِ والقَبائحِ ما كَرِهَهُمُ الخَلْقُ مِنْ أجلِها، فلَمْ يُطيقوا أدْنَى اتِّصالٍ بهِمْ وهو النَّظَرُ، فضلًا عمّا هو فوقَ ذَلِكَ، فالجملَةُ خبريَّةٌ دلَّتْ - معَ إفادَتِها مَضْمونَ الخَبَرِ - على معنى التَّوبيخِ، فكان ذلكَ مَجازًا مُرْسَلًا مركَّبًا.

دَلالَةُ التّعبير بلفْظِ (الأبصَارِ) دونَ (الأعيُنِ):

الأبـصَـارُ فيها معنَى التّأمُّلِ والـتَّـذَقـيـقِ، للنّظرِ الثّاقِبِ الدّقيقِ

في قولِهِ: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ﴾، عبَّر بالأبصارِ دون الأعيُنِ؛

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/143.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/144.
(3) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 7/4151.

لأنَّه أراد الأثرَ الناتج من الأعيُن، وهو الإبصارُ، ولم يُعَبِّر بالأعيُن؛ لأنَّه قد توجد الأعيُن ولا تُبصِر؛ وهذا غيرُ مرادٍ هنا.

وَجْهُ التَّعبيرِ بالضَّميرِ في: ﴿أَبْصَٰرُهُمْ﴾:

الأبصارُ ليست مجرَّدَ حاسَّةٍ بصَريَّةٍ، بل هي مُرتبطةٌ بالقُلوبِ والعُقولِ

الضَّمير في ﴿أَبْصَٰرُهُمْ﴾ يرجعُ إلى أصحابِ الأعراف؛ فهم المقصودونَ في هذه الآية، وعَدلَ النَّظمُ الكريمُ إلى الإضمار ولم يُظهِر نائبَ الفاعلِ في الجملة، كأنْ يقال: (وإذا صُرِفت أبصارُ أصحابِ الأعراف)؛ قصدًا للإيجاز لذِكرهم في السِّياق قريبًا، والضَّميرُ المتصلُ يشيرُ إلى أنَّ هذه الأبصارَ متصلةٌ بأجسادهم، وليست مستقلَّةً عنها، فهم يرون بأمِّ أعيُنِهم ما يحدثُ بين أصحاب الجنَّة، وأصحابِ النّار، ويشعرون بالخوف والطَّمع والرجاء، وأنَّ هذه الأبصارَ ليست مجرَّد حاسَّةٍ بصريَّة، بل هي مرتبطةٌ بالقلوب والعقول، فهُم يتدبَّرون ما يَرَون من المشاهدِ المختلفة عند الفريقين، ويستفيدون منها دروسًا وعبرًا.

سِرُّ التَّعبيرِ بقولِه: ﴿تِلْقَآءَ﴾ دونَ (جهةَ):

التِّلقاءُ فيه معنَى المصادَفةِ، والجِهةُ فيها التَّعيينُ

قوله تعالى: ﴿تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾، آثرَ فيه التَّعبيرَ بقوله: ﴿تِلْقَآءَ﴾ دون (جهة)؛ لأنَّ اللِّقاء يُطلق على مقابلةِ الشَّيءِ ومصادفته من غير قصدٍ منهم، وما وقع هو بإرادة مَن صرَفهُم.

بخلاف (الجهة) ففيها معنى القصدِ والشَّرف؛ لأنَّها مأخوذةٌ من مادة (وجه)، وتدور بنيةُ هذه المادة على هذا المعنى؛ فيقالُ: واجهتُ فلانًا: جعلت وجهي تلقاءَ وجهِه، ويقال للقصد: وجهٌ، وللمقصد: جهةٌ[1]؛ ولذلك كان اختيارُ لفظ ﴿تِلْقَآءَ﴾ هو المناسبَ هنا؛ لأنَّ المراد أنَّهم صُرفت أبصارُهم تلقاءَ أصحاب النّار غيرَ عامدين ولا قاصدين ولا متَّجهين.

(1) الراغب، المفردات: (وجه).

نُكْتَةُ الإضافَةِ فِي ﴿أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾:

حَقارَةُ أَصْحابِ النّارِ المُعَذَّبِينَ فِيها

الإضافَةُ في ﴿أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾، مِنْ قَوْلِهِ تعالى: ﴿*وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾، يُرادُ بها تحقيرُ المضافِ، وهُمُ الأَصْحابُ؛ الدّاخلون النّارَ، الملازِمونَ لَها، المعذَّبون فيها.

سِرُّ التَّعبيرِ بالقَولِ دونَ النِّداءِ:

النِّـداء فيه إعلانٌ، والقَولُ أعمُّ منه

في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ رَبَّنَا﴾ آثرَ التَّعبيرَ بالقول دون النِّداء؛ لأنَّه أعمُّ حيثُ يشملُ النِّداء وغيره، وأيضًا لأنَّ القول يُطلق على الكلام النَّفسيِّ واللَّفظيِّ، فكأنَّ اللَّفظ يصوِّر ما في نفوسهم من هذا الطَّلب بألّا يكونوا مع الظّالمين، وأظهروا ذلك بنُطقهم قائلين: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

دَلالَةُ النِّداءِ بِاسْمِ الرُّبُوبِيَّةِ ﴿رَبَّنَا﴾، في سِياقِ الآيةِ:

المُحْسِنُ فِيما مَضَى، جَدِيرٌ بِالإِحْسانِ فِيما بَقِيَ

في النِّداءِ باسمِ الرُّبوبيَّةِ في قولِهِ سُبحانَهُ: ﴿قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ طلبُ رحمَتِهِ سُبحانَهُ واستِعْطافُ كَرَمِهِ؛ إذْ هو المحسِنُ إليهم في الدُّنيا بكلِّ إحسانٍ، وفي الآخِرَةِ بكونِهِ لَمْ يُدْخِلْهُم النّارَ إلى وقتِ هذا النِّداءِ؛ والمُحْسِنُ إلَيْهِم فيما مَضَى جَديرٌ بالإحْسانِ إلَيْهِم فيما بَقيَ[1].

دَلالَةُ النَّهْيِ فِي الآيَةِ الكريمة:

مِنْ أَسْبابِ النَّجاةِ التَّذَلُّلُ إلَى اللهِ، وَسُؤالُهُ عَدَمَ الحَشْرِ مَعَ الظّالمين

النَّهْيُ في ﴿لَا تَجْعَلْنَا﴾ مِنْ قولِهِ سُبحانَهُ: ﴿قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ خرَجَ عَنْ دلالَتِهِ الأصليَّةِ مِنْ إرادَةِ الإلزامِ بالتَّرْكِ إلى معنى الدُّعاءِ؛ لكَوْنِ الخِطابِ متوجِّهًا مِنَ العبادِ إلى ربِّهم تعالى.

ويَجوزُ أن يكونوا قَدْ سألوا اللهَ ﷻ ألّا يجعَلَهم مع الظّالمين، وهم عالِمونَ أنَّه سُبحانَهُ لا يجعَلُهُم معَهم؛ فيكونُ أسلوبُ النَّهْيِ دالًّا مع الدُّعاءِ على معنى التَّذلُّلِ وطَلَبِ الدَّوامِ على هذِهِ الحالِ[2].

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 5/59، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 7/407.
(2) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 7/214.

دَلالةُ التَّعبيرِ بقولِه: ﴿لَا تَجۡعَلۡنَا﴾ دونَ (لا تُدخلْنا):

آثرَ التعبيرَ بقوله: ﴿لَا تَجۡعَلۡنَا﴾ دون (لا تُدخلنا)؛ لأنَّه أبلغُ في البُعد عن أصحاب النّار؛ لأنَّ (لا تُدخلنا) قد يُفهم منها أنَّهم من أصحاب النّار، ويطلبون عدم الدُّخول؛ أمّا ﴿لَا تَجۡعَلۡنَا﴾؛ فهم لا يريدونَ أن يكونوا من أهلِ النّار أصلًا فضلًا عن دخولها.

الجَعْلُ فيه معنَى الانْتِسابِ، وهو أبلَغُ في البُعدِ والوِقايةِ

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِالمَعِيَّةِ، فِي قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

عُبِّر بالمعيَّةِ في قولِه ﷻ: ﴿قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ولَمْ يَرِدِ النَّظْمُ القرآنيُّ: (لا تجعلْنا مِنَ القومِ الظّالمينَ)؛ لأنَّ كونَهم مَعَهم أعمُّ من كونِهِمْ منهمْ، فنَفْيُهم الأعمَّ عن أنفُسِهِمْ يستَلْزِمُ نفيَ الظُّلْمِ عنهمْ بطريقِ الأَوْلَى[1].

النَّأْيُ عن كَوْنِه مَعَ الظّالِمِينَ، نَفْيٌ للظُّلْمِ من بابِ أَوْلَى

سِرُّ ذِكْرِ لفْظِ ﴿ٱلۡقَوۡمِ﴾ في سِياقِ الآيةِ:

قوله تعالى: ﴿لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ذكرَ القرآنُ الكريم لفظَ (قوم) مع أنَّ المعنى ظاهرٌ من غيره، لكنَّه يشيرُ إلى نوعيَّة هؤلاءِ الظّالمين؛ فهم من قيادات الكفر؛ لأنَّ لفظَ القوم، مأخوذٌ من مادة (قوم)، والقيام يعني: الانتصابَ والوقوف في وجه الأنبياءِ، فقادةُ الكفرِ كذَّبوا طاعنين في الآيات، مستكبرين عن اتِّباع الأنبياء.

لفْظُ القومِ فيه معنَى القِيادةِ والرِّيادةِ والتّميُّزِ

نُكْتَةُ الوَصْفِ بِلفْظِ ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، في السِّياقِ:

في وصفِ أصحابِ النّارِ بالظُّلْمِ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ دونَ ما هم عليهِ حينئذٍ منْ ألْوانِ العذابِ وسوءِ الحالِ الذي اقتضَى هذا الدُّعاءَ: إيماءٌ إلى أنَّ المحذورَ عَنْدَهم ليسَ ذاتَ العذابِ، فحسبُ، وإنَّما هو العذابُ مَعَ ما يُؤَدّي إليهِ مِنَ الظُّلْمِ[2].

وُجُوبُ الحَذَرِ مِنْ أَسْبابِ العَذابِ الهُونِ

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/227.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السّليم: 3/230، والآلوسي، روح المعاني: 4/364.

سِرُّ حَذْفِ مُتَعَلَّقِ الظُّلْمِ:

أَعْـظَـمُ الظُّـلْـمِ: الـشِّـرْكُ بِـاللـهِ تَعالَى، وهو أُسُّ الآثامِ

حُذِفَ متعلَّقُ الظُّلْمِ في قَوْلِ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، والتَّقديرُ: الظّالمينَ أنفسَهم بالشِّرْكِ[1]، وحُذِفَ لِدلالَةِ اللّامِ في (الظّالمينَ) عَلَيْهِ؛ إذْ هي دالَّةٌ على الكَمالِ، والمعنى: لا تَجْعَلْنا مع القَوْمِ الكاملينَ في الظُّلْمِ، وأعْظَمُ الظُّلْمِ: الشِّرْكُ باللهِ تعالى، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: 13].

ويجوزُ أن يكونَ المُتعلَّقُ محذوفًا؛ للدَّلالَةِ على العُمومِ، وذلك أنَّ حَذْفَ المتعلَّق يُؤْذِنُ بذلِكَ، أي: الذين ظلَموا أنفسَهم بالشِّرْكِ والمَعاصي، وظلَموا غَيْرَهم بضُروبٍ مِن هضْمِ الحُقوقِ.

(1) الخازن، لباب التأويل: 2/204.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث عشر، سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 13 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-09-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 13 : سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-09-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6551762 بتاريخ 2023/12/20م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»